

رئيس التحرير المسؤول
العهد منير عقيقي

المحسوبيات والدولة الفاشلة

الذين يتحولون في المناسبات الانتخابية الى ناخبين مستعدين لخوض حروب داحس والغبراء من اجل هذا او ذاك، لا لشيء الا لرد جميل مخالفة في البناء، او وساطة توظيفية، او حماية لتداول على المشاعات واملاك الدولة البرية والنهرية والبحرية.

الارقام الصادمة الصادرة عن المرصد الاقتصادي للبنان في البنك الدولي الذي توقع ان يصبح اكثر من نصف السكان فقراء، وان تبلغ نسبة الدين الى الناتج المحلي 194 في المئة مع حلول العام الحالي، تقول اننا لا نعيش في ظل دولة، اذ في ظل نظام محسوبية جوهره "الاحسان" و"العطايا والخدمات الاحتياطية" على حساب الكفاية والنزاهة. كلنا وافقنا على تحكم هذا النظام بمصائرنا. بعضنا فعل ذلك ايجابا، اما بعضنا الآخر فانخرط سلبا. من اقترع كان يمثل الشرط الايجابي، ومن تذرر وانكفأ عن الاقتراع كان يمثل الشرط السلبي، فكانت النتيجة دولة فاشلة.

الآن صرنا امام واقع رهيب ودخلنا في النفق. كل يوم نعتقد ان الاسوأ حصل لنفاجاً في اليوم التالي بأن هناك ما هو أسوأ بكثير. التدهور يتوالى وما من شيء نفعله غير انتظار الغوث الاقليمي والدولي عبر مبادرة من هذه الدولة او اقتراح من تلك. كل هذا يحصل فيما تستمر اعمال التعدي على املاك الدولة التي وعلى الرغم من مسؤوليتها عن مواطنيها وامامهم، لم تفلح بعد حتى في رفع الانقراض عن رؤوس اللبنانيين.

نهاية كهذه هي نتيجة تلقائية لبدايات نعرفها جميعا، وسكتنا عنها فرادى وجماعات و"كما تكونون يولى عليكم".

لبنان الذي افتتن به العالم ذات مرة صار دولة فاشلة. اصبح متسولا على قارة الامم ينتظر مؤتمرا لمساعدته من هنا وعونا اغاثيا من هناك. ما حصل كان يمكن توقعه منذ زمن بعيد. لا بل الاصح اننا جميعا كنا نرى النهاية لكننا اشحنا بوجوهنا عنها. وكل منا فعل ذلك لسبب ما. كلنا انخرطنا في نظام المحسوبيات وقبلنا به سيلا للعيش. المحسوبية في لبنان ليست واقعة. انها سلوك ونهج ومط تعامل مجتمعي. وهي تبدأ بالتوظيفات ولا تنتهي بالمخالفات الجسيمة في البيئة والبناء، وما بينهما من عمليات سمرة وبيع وشراء للذمم في كل دوائر الدولة المتخمة بالبيروقراطية والبطالة المقنعة والتوظيفات الانتخابية.

اقول كلنا مسؤول ولا استثنى احدا. لأنه حتى من اعترض على الثغرات في تطبيق النظام، وانكفأ على ذاته من دون ان يحول اعتراضه الى تغيير او تعديل، هو مسؤول بمعنى ما. مثل ادارة نظام كهذا، من الطبيعي جدا ان يفضي الى الدولة الهشة التي انتهينا اليها وتقف عاجزة عن فعل شيء سوى احصاء الخسائر، والذي يبقى ايضا موضع تساؤل في ظل انعدام معايير الشفافية المعتمدة في الدول الناجحة. ففي الاساس لم تكن هذه المعايير موجودة لدينا لأنها لو كانت كذلك، لما كان سقط الهيكل فجأة وعلى الجميع.

نحن الآن امام نهاية مأساوية واضحة وضوح الشمس جراء ما ارتضيها على انفسنا، وجراء ما قبلناه طوعا. وهل ادل على تفاهة ادارة هذا النظام مما قاله الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون في خطابه اواخر ايلول الماضي حين انتقد النظام الخسيس "systeme crapuleux"؟. عندنا لا يوجد طراز من السياسيين الذين يعملون في السياسة العامة التي تبني دولة ناجحة. الساسة عندنا يعملون في السياسة "السياسيوية" اي تلك التي لا تعمل الا على ايقاع الانتخابات، وبهدف تكبير قاعدة المنتفعين

الى العدد المقبل